نباهة الفيل

كنا بالامس في حديقة الجيزة نراقب اطوار الفيل الصغير الذي فيها واذا هُ الحارس حينئذٍ بشيء من عيدان قصب السكر فكان يمسك العود بخرطومهِ ويدوس عليهِ ليكسرهُ ويلتقمهُ ويرمي كعبهُ وراسهُ . واتفق ان ذبابة او نحوها لسعتهُ فكسر عودًا من تلك العيدان وجعل يحتكُّ بهِ لان جلدهُ على سمكهِ وصفاقتهِ حساس جدًّا فيسعهُ الذباب والبعوض ويؤلمهُ فيذبهما عنهُ باغصان النبات ويحتكُّ بالعيدان على ما تقدم

روى المرحوم الاستاذ رومانس ان فيلاً نزع قصبة من وشيع وكسر شظية منها ونظر اليها فلم تعجبهُ لرِّي بها تم كسر غيرها وغيرها الى ان وجد واحدة تعجبهُ فامسكها بخرطومهِ وجعل يحتكُّ بها تحت ابطهِ وبعد قليل نزع بها علقة كبيرة مما يعلق بالاذيال ورماها امامهُ وداسها بقدمهِ فرشها رشًّا

وذكر الاستاذ جس ويرانهُ رأى الفيل في مشهد سنت لويس باميركا يمسك المكنسة بخرطومهِ ويذبُّ بها الذباب عن بدنهِ وكان يفعل ذلك ببهارة تامة كما يفعل الانسان لو كان في مكانهِ . وقد شاهدنا نحن فيل الجيزة يفعل ذلك برؤوس عيدان القصب فيكسرها ويمسكها بخرطومهِ ويذب بها الذباب عن بدنهِ

وذكر الدكتور ويرايضًا انهُ رأى فيلاً كبيرًا أُرسل في زقاق ضيق لا يسع غيرهُ ورآهُ حصان مقرون الى بركبة كبيرة من مركبات الفحم في رأس الزقاق فاجفل وسار بالمركبة عدوًا وكان لا بدَّ لهُ ان يصطدم بالفيل ولو اصطدم بهِ لقتلهُ او لقُتِل الاثنان لان الزقاق منحدر والمركبة كبيرة جدًّا والفرس كان جاريًا على اشد سرعتهِ . ولم يكن الفيل يستطيع التحوُّل من طريقهِ لضيق الزقاق ولكنهُ ادرك الخطر الذي هو فيهِ فركع على ركبهِ باسرع من لمح البصر وادخل خرطومهُ تحت بدنهِ واقام كالصخر لا يبدي حراكًا فمرَّ الفرس والمركبة فوقهُ ولم ينلهُ من ذلك الاَّ رضوض طفيفة من حوافر الفرس

وفي هذا العمل من النباهة واستعمال الحيلة وقت الشدَّة والالتجاء الى اقرب الوسائل ما لا يفوقهُ بهِ الانسان . وليس فيهِ شيء من الاعمال الغريزية لان الفيل البري لا يتَّفق لهُ ان يقف مثل هذا الموقف في زقاق ضيق امام فرس جموح مقرون الى مركبة كبيرة حتى يقال انهُ فعل بالغريزة ما اعتادهُ هو او اسلافهُ وانما فعل ما فعل بتدبُّر ونباهة فائقة . ولو وقف الانسان موقفهُ لما اهتدى الى مثل حيلتهِ الاَّ اذا كان من الفائقين في النباهة والذكاء . بل كثيرًا ما ترى الانسان الذبيه تفاجئهُ الشدَّة فيضيق بها ذرعًا ولا يهتدي الى حيلة ينجو بها منها ولا سيما اذا فاجأتهُ اول مرَّة